٥٦

وقع الأسل في من جهل ضرب المثل
للحافظ السيوطي رحمه الله تعالى

اللام وهيئة النفس وفي كل ما عدا الأخيرة وبذا تخرج
عن الزيادة الرابع أن تكون عوضا عن الضمير المضاف إليه
أثبته الكوفيون وبعض البصريين ونقله ابن خروف
عن سيبويه وأنكره أكثر وعد هذه المسألة من مسائل الخلاف
بين الفريقين واختاره صاحب البسيط وابن مالك
ومثلوه بضمير الصلة وخرجوا عليه فإن الجنة هي المأوى
مفتحة لهم الأبواب قال ابن هشام والمعروف في كلامهم
التمثيل بضمير الغائب ومنع هذا أن أصل جماعة منهم
الفارسي والزمخشري والأندلسي تنبيه
قال الأندلسي زاد الكوفيون في معاني أل التعظيم والتفخيم
كما في اسم الله والأعلام وأنكره البصريون وتأولوا ما نظير
لذلك وقال السهيلي دخلت أل عوضا عن الهمزة في
اسم الله فإنها عوض من همزة إله ومن ياء النسب
في اليهود والمجوس والنبي أم على أوجه أحدها أن تكون
منفصلة إذا تقدم عليها همزة الاستفهام نحو سواء عليهم

بلغ

بسم الله الرحمن الرحيم

فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا افتتحت كتاب
اللقط الجوهري بقوله تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان
تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور فبلغني ان
الغوغا انكروا ذلك وقالوا هذه الاية نزلت في
حق المشركين فلا يجوز التعريض بها للعالم فلما
وصل الي هذا الخبر ضحكت كل الضحك من غاية جهل
هؤلا وحمقهم وفي الحقيقة هم معذورون لعدم
معرفتهم بالعلم وعدم اطلاعهم على تصرفات العلما
وما وقع لهم في الترداد على اهل عصرهم وعدم وقوفهم
على اثار الصحابة في ذلك والتوسع في ذلك مرتبة
علما لا يكاد يحصل لاحد سوى المجتهدين واستعمال
هذه الاية وامثالها في مثل هذا المقام ليس
من التعريض في شي بل هو من قواعد ليس عنه
الصحابة والتابعين وعلما المسلمين ضرب
المثل وهو ان لا تورد الايات المنازلة في
قضية في امر اخر غير ما نزلت فيه

لكونه

لكونه فيه اذن في مناسبة وقد وقع ذلك
للعلما قديما وحديثا ووقع ايضا للصحابة
والتابعين والسلف الصالح من ذلك
ما وقع للشيخ عز الدين بن عبد السلام
انه نهى عن صلاة الرغايب وكان الشيخ
تقي الدين بن الصلاح استفتي فيها قبل
ذلك فافتى بانها بدعة مذمومة فلما
نهى عنها الشيخ عز الدين خالفه ابن الصلاح
وشنع عليه والفتيا في الرد عليه وضرب
له فيه المثل بقوله تعالى ارايت الذي ينهى
عبدا اذا صلى وهذه الاية نزلت في ابي
جهل ولم ينكر من علما ذلك العصر على ابن
الصلاح كونه ضرب المثل بها للشيخ عز الدين
بن عبد السلام مع كونها انزلت في كافر
بل ولا الشيخ عز الدين نفسه ما انكر ذلك

وانما قال في الكتاب المشار اليه في الرد على ابن الصلاح
واما ضربه المثل بقوله تعالى أرأيت الذي ينهى عبدا
اذا صلى فانا انما يجب تنحي نهي عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمقتضى قوله ينهى عبدا اذا صلى هذه
عبارة الشيخ عز الدين فاجاب عن الاية ولم ينكر ايرادها
في حقه من حيث انها نزلت في كافر بل من حيث انه
لا ان في المقصود وحاصله انه اجاب بانه ليس كل نهي
عن الصلاة مذموما بل منه ما هو محمود او هو ما وفق
نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حكى ذلك الامام
ابو شامة في كتابه الباعث على انكار البدع والحوادث
وقال ان الناس ضربوا لابن الصلاح المثل
بقول عائشة في حق سعد بن عبادة وكان قبل
ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية يعني
لكون ابن الصلاح افتى اولا بذلك ثم خالف فتواه
لما نهي عنها الشيخ عز الدين وكان بينهما وقفة
فكان

فكان كل منهما لا يزال يخالف الاخر وصنف في الرد عليه
ولما بلغ ابن الصلاح ان الناس انكروا عليه ذلك وضربوا
له هذا المثل اجاب بانه تغير اجتهاده وقال الاجتهاد
يختلف على ما عرف فقال لو انه في حوادث الشرع قال له
شيخ لعل رأيك مع الجماعة احب الي من رأيك وحدك وشبه هذا
المثل ما ورد عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه كان يرى
صلاة النافلة قبل صلاة العيد وانه دخل مسجد الكوفة فراى
قوما يصلون فلم ينههم فقال له من معه الا تنههم فقال
لا اكون ممن ينهى عبدا اذا صلى فانظر كيف يتمثل بالاية في
هذه القضية ولم يقل له احد هذه نزلت في ابي جهل وفي قضية
مخصوصة فلا يتمثل بها في غيرها وشبه ذلك ايضا ما رويناه
عن الامام مالك بن انس رضي الله عنه انه امر بصلاة في وقت كراهة
فقام يصلي فقيل له في ذلك فقال لا اكون ممن اذا قيل لهم اركعوا
لا يركعون فانظر كيف يمثل بهذه الاية وهي نازلة في حق المشركين
بالاجماع ومن ذلك ما رواه الخطيب البغدادي في كتاب الرواة عن
مالك من طريق سعيد بن بشير بن ذكوان قال كان مالك اذا سئل
عن مسالة وظن ان صاحبها غير متعلم وانه يريد المغالطة يتلو له هذه
الاية يقول قال الله تعالى وللبسنا عليهم ما يلبسون فانظر كيف
تمثل مالك للمغالطة في العلم بهذه الاية وهي نازلة في حق المشركين
قطعا ومن ذلك ما رويناه عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه

انه كلمه رجل من المسلمين بكلام فيه غلظة فاجابه علي رضي الله عنه
فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون
اخرجه ابن ابي حاتم في تفسيره فتمثل علي بهذه الاية للمسلم
وهي نازلة في المشركين ومن ذلك ما رويناه عن ابن عمر رضي الله
عنهما انه مر على جماعة فعبث به رجل منهم فالتفت ابن عمر
وقال له ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون
اخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق فتمثل ابن عمر
بهذه الاية للمسلمين وهي نازلة في المشركين ومن ذلك
ما رويناه عن الحسن بن علي رضي الله عنهما سبط رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه لما سلم الامر الى معاوية خطب فقال
ان هذا الامر تركته لمعاوية ارادة اصلاح المسلمين
وحقن دمائهم وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى
حين ثم استغفر ونزل اخرجه البيهقي في الدلائل
فتمثل الحسن رضي الله عنه بهذه الاية في حق المسلمين وهي نازلة
في المشركين ومن ذلك ما رويناه عن ام المومنين حفصه
بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما انها قالت في المدينة
واهلها لما قتل عثمان رضي الله عنه وتخلفوا عن نصرته
وجرى عليهم في وقعة الحرة ما جرى وضرب الله

مثلا

مثلا قرية كانت امنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان
فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون
اخرجه ابن ابي حاتم في تفسيره فتمثلت ام المومنين رضي الله عنها
لاهل المدينة بهذه الاية واكثرهم صحابة والاية نازلة في كفار
مكة بلا شك بدليل قوله عقبها ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه الاية
ومن ذلك ما اخرجه ابن جرير عن سعد المقبري انه ذكر محمد بن كعب
القرظي فقال ان في بعض كتب الله ان لله عبادا السنتهم احلى من
العسل وقلوبهم امر من الصبر لبسوا للناس مسوك الضان من
اللين يجتلبون الدنيا بالدين قال الله تعالى اعلي يجترئون وبي يغترون
وعزتي لابعثن عليهم فتنة تترك الحليم منهم حيرانا فقال محمد
بن كعب هذا في كتاب الله ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة
الدنيا الاية فقال سعيد قد عرفت فيمن انزلت فقال له محمد بن كعب
ان الاية تنزل في الرجل ثم تكون عامة بعد ومن ذلك ما اخرجه ابو
نعيم في الحلية عن قتادة ان عبد الله بن غالب كان يقص في المسجد الجامع
فنعى عليه الحسن فقال يا عبد الله لقد شققت على اصحابك
فقال ما ادري عيونهم انفقأت ولا ادري
ظهورهم اندقت والله يامرنا
يا حسن ان نذكره كثيرا وتامرنا ان

تذكروه قليلا كلا لا تطعه واسجد واقترب ثم
سجد فقال له الحسن والله ما ذا اتيك اليوم ما ادري
استجدام لا وقد ورد التصريح بتسميته هذا الاسم مثلا
في قول عايشة رضي الله عنها في قصة الافك واني
لا اجد لي ولكم مثلا الا قول ابي يوسف فصبر جميل
والله المستعان على ما تصفون وفي قوله صلى الله عليه
وسلم لابي بكر وعمر حين استشارهما في اسرى بدر مثلك
يا ابا بكر مثل ابراهيم حيث قال فمن تبعني فانه مني
ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل
نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
ومما وقع للعلماء في ضرب المثل لاهل عصرهم بالايات ما وقع
لحجة الاسلام الغزالي في كتابه الاقتصاد لما في الاحياء من الاسرار
حين انكر عليه علماء عصره مواضع منه خالف الكتاب المذكور
بجواب ما انكروا فقال في اوله ما نصه سالت يسر الله لك
لمراتب العلم تصعد مراقيها وقرب لك مقامات الولاية تحل معاليها
عن بعض ما وقع في الاملا الملقب بالاحياء اشكال على من
حجب فهمه وقصر علمه ولم تفز يداه من الحظوظ الملكية قدحه
ونفخه وسهمه واظهر التحزن لما شاع به من شركاء الطغام

وامثال

وامثال الانعام واتباع العوام وسفهاء الاحلام وعوار
اهل الاسلام حيث طعنوا عليه ونهوا عن قراته ومطالعته
وافتوا بمجرد الهوى على غير بصيرة باطراحه ومنابذته
ونسبوا ممليه الى الضلال والاضلال ونبذوا قراءه
ومنتحليه بزيغ في الشريعة واختلال فالى الله انصرافهم
ومآبهم وعليه في العرض الاكبر ايقافهم ستكتب
شهاداتهم ويسالون وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب
ينقلبون بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه واذ لم يهتدوا به
فسيقولون هذا افك قديم ولو ردوه الى الرسول والى
اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولكن الظالمين
في شقاق بعيد ولا عجب فقد ثوى ادلاء الطريق
وذهب ارباب التحقيق فلم يبق في الغالب الا اهل
الزور والفسوق متشبهين بسمت بدعا وكاذبة
متصنعين بحكايات مزخرفة متزايين بصفات
منمقة متظاهرين بظواهر العلم فاسلك
ومتقاطعين بحجاج غير صادقة كل ذلك لطلب
دنيا ومحبة ثنا ومغالبة نظرا فقد ذهبت

الواصلة بينهم بالبر والتقوى جميعا على المنكر وعدمت النصائح
بينهم في الامر وتصلفوا باسرهم على الجد والمكر ان
نصحتهم العلما اغروا لهم وان صمت عنهم العقلا ازروا عليهم
اولئك الجهال غرهم علمهم الفقرا في طولهم البخلا عن الله
عز وجل بانفسهم لا يخلصت ولا ينجح تابعهم ولذلك لا تظهر
عليهم مواهب الصدق ولا تسطع حولهم انوار الولاية
ولا تحقق لديهم أعلام المعرفة ولا يستر عوراتهم لباس الخشية
لانهم لم ينالوا احوال النقبا ومراتب النجبا وخصوصية
البدلا وكرامات الاوتاد وفوايد القطب وهي هذه اسباب
السعادة وتتمة الطهارة لو عرفوا انفسهم لتطهر لهم الحق
وعلموا علمه اهل الباطن وذا اهل الضعف وذوا اهل
القوة ولكن ليس لهذا ان بحث يعهم حجبوا عن الحقيقة
باربعة بالجهل والاصرار ومحبة الشيخ واظهار الدعوى
فالجهل اورثهم السخف والاصرار اورثهم التهاون
ومحبة الدنيا اورثتهم طول الغفلة واظهار الدعوى اورثهم
الكبر والاعجاب والريا والله من ورائهم محيطا وهو على
كل شي شهيد ولا يغرنك اعاذنا الله واياكم من احوالهم
شانهم ولا يذهلنك عن الاشتغال بصلاح نفسك تمردهم
وطغيانهم

وطغيانهم ولا يغوينك بما زين لهم من سوء اعمالهم شيطانهم فكان قد جمع
الخلايق في صعيد واحد وجات كل نفس معها سايق وشهيد وتلي لقد كنت
في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاك فبصرك اليوم حديد فيا له
موقفا لقد اذهلت ذوي العقول عن القال والقيل ومما بعده الا اباطيل
فاعرض عن الجاهلين ولا تطع كل افاك اثيم وان كان كبر عليك اعراضهم
فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السما فتاتيهم باية ولو
شا الله لجعل الناس امة واحدة فاصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين
كل شي هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون هذا كلام الغزالي بحروفه
وقد اشتمل على تمثله في حق علما عصره بعدة ايات كلها نزلت في المشركين
ولو تتبعنا كلام العلما وتمثلهم بالايات النازلة في الكفار وضربهم
المثل في حق غيرهم لجمعنا منه مجلدا واما الصوفية فهم اكثر
الناس استعمالا لذلك ويسمونه اشارات وقد عقدت لذلك فصلا
في الاتقان وذكرت فيه كلام الشيخ تاج الدين بن عطا الله وغيره في تقرير
ذلك والجواب عما استشكل عليهم من كونهم يستعملون الاية في معاني
غير ما نزلت فيه فمن ذلك قولهم ما يذهب ولي لله الا جا الله بولي يخلفه
ويتمثلون عند ذلك بقوله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها
او مثلها ومعلوم ان الاية لم تنزل في هذا المعنى ودخل بعض الصوفية
على جماعة من اخوانه فوجدهم سكوتا فقال ووقع القول عليهم بما
ظلموا فهم لا ينطقون فتمثل بهذه الاية وهي في حق الكفار
ويحكى عن بعض الفقها انه وصف له رجل بصلاح وولاية

فقصد زيارته فلما رآه استحقره فقال في نفسه حتى اذا جاءه لم يجلس
فقال له ذلك الولي اقرأ اما بعدها فاذا عن الفقيه ومن مكاتيب
الانشا لقطب العارفين سيدي علي بن وفا وكان مالكي المذهب
الى بعض جماعته الحمد لله يا مولاي يا واحد وعنده مفاتح الغيب
لا يعلمها الا هو فعليك ايها العبد بصيانة السر وحفظ الغيب
من عيون الغير واسماع الريب انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم
بافكارهم واهوائهم او يعيدوكم في ملتهم بتسويلهم وتأويلهم
وافترائهم والله يؤيد بنصره من يشا واما المراد بارباب
الترسل والانشا فهم المعتنون لهذا الامر كل الاعتناء وهم اشد
الناس قوة في انتزاع الابيات المناسبة لما هم بصدده بعد المصاوضة
وقد ذكر ابن حجة في ثمرات الاوراق ذلك في اداب صاحب الانشا
نقلا عن ابي حيان التوحيدي وقال ابن الاثير في كتاب
المثل السائر في اداب الكاتب والشاعر يفتقر صاحب
هذا الفن الى ثمانية انواع من الآلات الاول معرفة علم
العربية من النحو والتصريف الثاني معرفة اللغة الثالث
معرفة امثال العرب وايامهم ومعرفة الوقائع التي جاءت في
حوادث خاصة باقوام فان ذلك يجري مجرى الامثال ايضا
الرابع الاطلاع على تاليفات من تقدمه من ارباب هذه الصناعة
المنظوم منه والمنثور والتحفظ للكثير منه الخامس معرفة
الاحكام

الاحكام السلطانية من الامامة والامارة والقضاء والحسبة وغير ذلك
السادس حفظ القرآن الكريم والتدرب باستعماله وادراجه في
مطاوي كلامه السابع حفظ ما يحتاج اليه من الاخبار الواردة
عن النبي صلى الله عليه وسلم والسلوك بها مسلك القرآن الكريم في الاستعمال
ورأيت في رسائل ابن الاثير هذا مكاتبة انشاها عن الخليفة
في رجل غضب عليه فافتتحها بقوله تعالى ولا تسال عن اصحاب
الجحيم ومما وقع من ذلك للعزرا والكبراء ان الصاحب بن عباد
سجن رجلا في موضع تحت داره ثم اتفق اشرف عليه يوما
فرآه فناداه ذلك الرجل فاطلع فرآه في سواء الجحيم فاجابه
الصاحب ابن عباد اخسئوا فيها ولا تكلمون انتهى التاليف

اللفظ الجوهري في رد خباط الجوجري
تاليف العلامة جلال الدين ابو الفضل عبد الرحمن
ابن الامام قاضي المسلمين كمال الدين السيوطي الشافعي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى
كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور هذا كتاب
بيان علم ومعرفة لا خصومة واساة وسفه ورد للباطل
بحجج لا صدة عن حق بلج مضمونه ان سائلا سالني من فوق
عشر سنين عن رؤية الباري تعالى في الجنة هل تحصل للنساء او
تختص بالرجال فذكرت انه رأيت في بعض الكتب ما معناه